

# العام الجديد: تحديد مسار

المعلم برمهنا يوفانندا

الترجمة: محمود عباس مسعود

إذا ما فكرت بالله تفكيراً جاداً وأشبع ذلك التفكير بالإيمان والإخلاص ورسخته في أعماق ذاتك فإن سيد الأكوان سيأتي إلى روحك عن طريق الوعي السامي ويتقبل منك تلك الفكرة النابضة بالحب الإلهي الصادق.

سل الله كي يساعدك على تحقيق كل الأفكار والمقررات التي تعزمها لتطبيقها في العام الجديد. اعقد النية على أنك ستفعل فقط ما تعتقد أنه الصواب وأنتك لن تسمح للعادات الرديئة بالإملاء عليك ودفعك لعمل ما لا يقره الضمير.

لقد تعلمتُ درساً كبيراً من كتابي (مذكرات يوجي: السيرة الذاتية (Autobiography of a Yogi))، إذ كنتُ أكتب دون مراجعة المخطوطة أبداً، وهي مهمة تحاشيتها دوماً. ولكن تعيّن عليّ إعادة النظر وتنقيح كل نبذة صغيرة وتفصيل دقيق من تلك السيرة. وبذلك أدبني الرب ولكن بكيفية نبيلة كريمة، لأنني أحببت استعادة تلك الإختبارات الرائعة حيث عشت الأحداث ثانية بمراجعتي المتكررة لتلك التجارب المحببة إلى القلب.

لقد غامرتُ بمشاريع كثيرة في هذه الحياة.. حاضرتُ وخططتُ وشيدتُ المباني، ومارستُ الفنون وعزفتُ الآلات الموسيقية على اختلافها، وغرستُ الحدائق والبساتين، وأسستُ مدارس ومراكز روحية، ولكن سر نجاحي كان يكمن دوماً في قوة الإرادة. ويمكنني القول بصدق أن القَدَر هو من صنع الإنسان.

حلل نفسك وتساءل عما جرى لمقرراتك وطموحاتك النبيلة التي اعتزمتها. هل تركتها تنوى وتموت بسبب فقدان قوة الإرادة الديناميكية الفعّالة؟ التصميم القوي ضروري لتحاشي تكرار الأخطاء القديمة في هذا العام الجديد. الوقت من ذهب ويجب التعامل معه على هذا الأساس. يجب أن لا يكون الإنسان آلة متحركة يسيرها العالم والعادات الذاتية المستحكمة، لأن ذلك ليس السبيل إلى السعادة الحقة. الحاجة تمس إلى امتلاك القدرة على التغيير نحو الأفضل. لا يكفي أن يمتلك الشخص رغبة غامضة للتحسين والإصلاح دون امتلاك الرغبة والهمة في تحقيق تلك الإيجابيات. الإنسان هو الذي يصنع نفسه بنفسه وباستطاعته أن يصبح ما يريد. ولكن عليه أن يستخدم قوة الإرادة. الجدران الإسمنتية قوية ولا شك، وكذلك والحجارة. لكن قضبان العادات البشرية أقوى منها، لأنها تستبقي الإنسان سجيناً خلف قضبان نفسية غير منظورة بيد أنها أصلب من الحديد وأقسى من الفولاذ المسقى. ولكن بمقدوره أن يتحرر! اعقد العزم الآن بأنك ستفلت من حبس العادات المقيدة وتنطلق إلى آفاق الحرية.

ما أن أدركت أنني معتقل في قفص العادات حتى اندفعت خارجاً محطماً القضبان. إنني لا أسمح لنفسى بأن تفيدني العادات التي تجعلني أقول "لا أقدر أن أفعل ذلك" أو "لا تفعل ذلك لأنه يجعلني عصبياً" أو "لا طاقة لي على احتمال البرد" إلى ما هنالك. لماذا هذه العادات قوية ومتأصلة منذ الطفولة المبكرة؟ لأنها امتداد لاختبارات سببية (سابقة لهذه الحياة). إن طباعنا هي كخطوط الحبر المرسومة على خريطة الحياة بريشة كارما الماضي. العادات الخاطئة والطباع الرديئة هي أنتن من رائحة الجيفة الكريهة (أيام الصيف). تالله لماذا يتصرف الإنسان كالظربان مسبباً المضايقة والإزعاج للجميع، ومعاقباً نفسه بالمثل؟ كلنا فعل ذلك بوقت أو بآخر لأننا جميعاً جلبنا معنا خاصيات بغيضة كريهة.

ولكن لحسن الحظ يمكننا التغلب على الخصال غير المحمودة. العقل البشري لدن ومرن. فإن شدته شداً تدريجياً سيستسلم للشد. ولكنك لا تحاول ذلك على الأقل. لقد منحنا الله من القدرة أكثر بكثير مما نحتاجه للتغلب على الصعاب التي تعترض سبيلنا. إن الله يفتقد الصادقين من عياله بمحن أكبر مما يختص بها البشر العاديين. ولكن لا يستطيع أحد أن يعبر أبواب الحرية ما لم يجتاز كل امتحانات الله.. وما لم يكن صادقاً مع نفسه ومع الآخرين ومع الله. الإنسان يظن من قبيل الخطأ أنه كائن بشري ضعيف مع أن الله وهبه قوى وإمكانات غير محدودة إن هو أحسن استخدامها. لا يتوجب عليك إحراز أي شيء، كل ما تحتاجه هو أن تعرف.

إن محاولة الإنسان في أن يصبح مليونيراً في هذا التجسد هو أمرٌ أصعب بكثير من أن يصبح عارفاً بالله. البيئة الأرضية محدودة للغاية بحيث يقضي العديد من البشر دون تحقيق أمانهم ونيل مبتغاهم. لكن معرفة الله مستطاعة في عمر واحد لأنه حبيبنا وخاصتنا ولنا الحق في معرفته.

حتى ولو ابتهل كل إنسان ليل نهار كي يصبح من أثرى الأثرياء العالم لا يمكن أن يستجاب دعاء الجميع لأن الأرض ليست مكاناً يمكن لكل واحد أن يكون فيه أغنى الأغنياء. ولكن كل واحد يستطيع أن يكون غنياً بالروح لأن الله منح الجميع مقدرة متساوية كي يرتقوا ويغتنوا بالروح. عندما تحس بالصلة المقدسة مع الله تمتلك كل شيء. أثرى الأثرياء قد يفقد ثراءه أو صحته، ولكن العارفين بالله لهم المقدرة على خلق الصحة أو الثراء أو أي شيء يريدونه بالإرادة. إذاً لا داعي للتشوق لأن نكون أثرياء أو ذوي نفوذ كفلان. لتكن الرغبة الوحيدة في قلوبنا القرب من الله والتواصل معه. إن الله يحبنا ولن يحرماننا شيئاً ما دمنا نسعى إليه برغبة صادقة. التأمل هو السبيل لاسترداد الإلوهية المفقودة.

عادات المرء هي تطعيم مصطنع على شجرة جوهره الذي هو روح متحرر أبداً. في طفولتي كنت أحنق كثيراً لكنني عندما عقدت العزم على التخلص من ذلك الإنفعال لم أستسلم بعدها للغضب مطلقاً. لو لم أستخدم إرادتي لما تمكنت من إنجاز ذلك أو أي شيء آخر في هذه الحياة. كل واحد باستطاعته استخدام إرادته. أخطاء حياة بكاملها

يمكن تصحيحها اليوم ما دامت الإرادة موجودة وفاعلة. اعقد النية في هذه السنة الجديدة كي تدرك أنه بالرغم من كونك بشراً ولديك بعض العادات، لكنك ككائن سماوي في جوهرك فأنت حر طليق. لماذا يخادع الإنسان نفسه ويعزو إليها عيوب الماضي؟ يجب أن يببدها ويبددها الآن وإلا لأصبحت تطعماً شديداً للإلتحام والإلتصاق بشجرة حياته. يجب أن لا يسمح بذلك، بل يؤكد لنفسه المرة تلو الأخرى أنه قريب من خالقه ويمتلك قبساً من نوره وشرارة من وجهه.

إن كل تصميم تعتمزه بإصرار جبار يمكن أن يصبح عادة على الفور. ولماذا لا يمكنك أن تفعل ما تتمناه بحسب ما توحى به الحكمة ويقرّه الضمير؟

يجب المحاولة. دع الشوائب والعيوب تمضي إلى اللاعودة. راجع أفعالك للسنة الماضية، وتعرف على تلك العادات غير الصحية التي قد تكون أبديتها. هناك أشخاص يحبون المخاصمة أو الإفراط في تناول الطعام أو يحسدون الآخرين على ما عندهم. بالإمكان تحاشي هذه السلبيات بالتصميم القاطع على قطع دابرها وعدم استضافتها ثانية في طبقات الفكر وطيات الشعور.

إن كل ما حاولت عمله بقوة الإرادة قد تحقق في دنيا الواقع. وإنني أمنح الأمل للراغبين بأنهم هم أيضاً سينجحون إذا ما اتخذوا قراراً حاسماً وعززوه بالعزيمة والتصميم. لقد منحنا الله المقدرة لنسف متاعبنا ودك حصوننا.

وما أروع أهزوجة ذلك الناسك المقدم عندما تحدى العوائق وهزى بالصعاب فراح يزمجر ويزأر كالأسد الهصور:

حَذَارِ حَذَارِ يَا جِبَالُ لَا تَجْثِي فِي دَرْبِي

ضُلُوعَكَ سَوْفَ أَسْحَقُهَا وَأَمْحَقُهَا

فَوَيْلٌ لَكَ مِنْ حَرْبِي

لَأَنِّي مُقْتَدِرٌ بِاللَّهِ

لَا أَحْشَى سِوَى رَبِّي!

لقد كان الرومان يربطون الأسرى بمركباتهم ويجرونهم على الأرض جراً، ويا لها من ممارسة فظيعة! ولكن هناك درساً في ذلك لمن يهمله الأمر. فنحن نسمح لعاداتنا بأن تعاملنا بنفس الكيفية. يجب أن نجعل عاداتنا أسرانا بدلاً من أن أسرينا، فنُدفعها بعربات إرادتنا دفعاً بدلاً من أن نسمح لها بأن تجرنا وراءها. إن المقدرة على عمل ما ينبغي عمله، وليس مجرد ما يأمرنا الهوى بفعله، هو تحرر فعلي.

يجب أن يتعلم الإنسان التمييز في العام الجديد وأن يمتحن كل حافز يتوارد إلى ذهنه أو ييزغ وسط مشاعره ليرى ما إذا كان من الصواب التصرف بموجبه. عندما يوحى له الصواب بعمل شيء ما فيجب أن لا يسمح حتى للأقدار أو الآلهة باعترض سبيله.

ولكن إن وجد أنه على خطأ فيجب أن يتوقف ويغير الاتجاه. بعض الناس عنيدون للغاية ولا يريدون أن يعترفوا بأنهم على خطأ. ولكن يجب أن يسير المرء على هدي الحكمة والفهم لا بحسب ما توحى له الإرادة العمياء. أما إن فكرت بما فيه الكفاية واقتنعت

بأنك على حق فيما تعتزم القيام به فسر على بركة الله ولا تسمح لأي إنسان بأن يقف في وجهك أو يلوي إرادتك. إن كنت بلا عمل ووجدت صعوبة في العثور على عمل، فيجب أن تهز العالم وتقيم الدنيا إلى أن يقول الناس "طيب دبروا له عملا حتى يسكت ويخلصنا!" هذا لا أقوله بدافع الكبرياء الذاتي بل لعلك تجد في تجاربي فائدة. مهما كان نوع العمل فإن تم إنجازه بنفسية رضية يمنحك نصراً على ذاتك. قد يضطر الإنسان لكس الشوارع وتنظيف المراحيض، لكنه إن فعل ذلك محبة في خدمة ومساعدة الناس فإنه يبرهن عن إرادة طيبة وقوية وعن نضج معرفي وقيم سليمة. النفسية التي يعمل بها الإنسان هي التي تحسب له أو عليه. الكسل الفكري والعمل بدون رغبة صادقة يفسد الشخص. غالباً ما يسألني الناس "كيف تتمكن من إنجاز أشياء كثيرة؟" وجوابي هو لأنني أقوم بكل شيء بسرور عظيم ورغبة صادقة في خدمة إخوتي البشر. في قرارة نفسي إنني واحد مع الله على الدوام. ومع أنني لا أنام إلا ساعات قليلة، لكنني أشعر دوماً بنشاط فوّار وحيوية متجددة لأنني أنجز واجباتي ولسان حالي يقول الخدمة شرف ومن يرغب بخدمة الله فليخدمه في البشر. يجب أن ندرك مدى ارتباط وعينا بوعي الله. صمم على أنك لن تسمح لإملاءات الأنا القديمة بالتحكم بك وجعلك أسير العادات. إن جميع القيود المؤقتة وعيوب الجسد وكل الأفكار الخاطئة لا يمكن أن تعترض سبيلك عندما تقرر وتريد بقوة في أن تصبح إنساناً جديداً. ولسوف تتغير نحو الأفضل.

الإنسان رهينة عاداته وهذا ليس في صالحه. وبسبب عاداته السيئة – فكراً وفعلاً – في هذه الحياة وفي حيوات أخرى تستسلم مملكته الجسدية الآن لغزوات المرض وهجمات المشاكل والطباع الحادة والجهل. ولكن من الآن وصاعداً يجب أن يقول "أنا لستُ هذا الجسد. أنا الحاكم المتصرف في مملكتي النفسية والجسدية. وأفكاري ستكون تماماً كما أريدها أن تكون."

عندما تستبدل العادات الرديئة بعادات طيبة ستقول لنفسك: "ما كان أسهل فعل ذلك! كم كنت مجحفاً بحق نفسي بعدم تغيير العادات السلبية بأخرى إيجابية تجلب لي السعادة والصحة والراحة النفسية!"

إن أفضل وصف لأسرى العادات هو أنهم من طراز سيكولوجي عتيق. فهم لا يتغيرون من سنة إلى أخرى. تراهم يتلفظون بنفس العبارات القديمة المكررة، ويفعلون نفس الأشياء القديمة التي تعودوا عليها. تحدث معهم لبعض الوقت وتستطيع أن تتوقع بالضبط الكلمات التالية التي سيقولونها.

انظر أيها الصديق في مرآة فحص النفس لترى ما إذا كنت من هذا الطراز. معظم الناس من هذه "الدقة". ولكن لا ينبغي لك أن تكون أحدهم. هذا ممكن بتغيير العادات. يجب طرد الطباع السيئة المرنولة غير مأسوفٍ عليها، والمحاولة الصادقة الجادة في التغيير نحو الأفضل على أساس يومي. ويجب أن يتمكن الناس من القول: "يا له من تغيير رائع عجيب قد طرأ على شخصية هذا الإنسان!"

ذوو معرفة الذات أحرزوا سيادة على ذاتهم القديمة المدفوعة بالعادة الذميمة. إن طبيعة المعلم الروحي المستتير لا نهائية، ولا يمكن استيعابها ضمن التخوم الضيقة للمفاهيم البشرية المحدودة. في كل مرة ظننت أنني أفلحت في تصنيف مرشدي الروحي سري يوكتسوار وجدت أنه كان مختلفاً تماماً، وأعظم من أن يُصنف. سيتحتم على الإنسان يوماً ما مغادرة هذا المستوى الأرضي والعودة إلى الله. ما من بديل آخر. الناس هاربون من بيتهم السماوي. لقد غلفوا طبيعتهم الإلهية بعبادتهم وأفكارهم الكثيفة وأن لهم أن يكشفوا عنها ثانية لتشرق بنورها وروعتهها. لن يتذوق الإنسان – أي إنسان – طعم السعادة الحقيقية ما دام غارقاً في أحوال العادات والجهل بطبيعة روحه الخالدة. الطريقة الوحيدة للعثور على الفرحة الدائم هي بالعودة إلى الله. لا يتحتم مغادرة شواطئ هذه الأرض حتى ننعم بالسعادة. يجب أن نتعلم كيف نكون سعداء هنا والآن، تحت كل الظروف. ويجب أن نشمل سعادة الآخرين بسعادتنا وإلا لن يكتمل فرحنا. يجب أن نحاول مساعدة الآخرين وإسعادهم. ليس بوسعنا إرضاء الجميع، لكن بمقدورنا أن نمنح اللطف والرفقة والمحبة والكلمة الطيبة لكل من يدخل مجال حياتنا. ما من فعل أكثر قبولاً في نظر الله من المعاملة الطيبة ومقابلة الإساءة بالإحسان. يجب أن نكون كالورود العطرة التي تنفح الأريج وتنعش الأذواق بمرآها البهيج! إن المتحمر من الكراهية نحو كل المخلوقات.. الأنيس والودود تجاه الجميع.. هو قريب من الله الذي هو ينبوع كل أنس ووداد!

إن وجّه الآخرين انتقاداً لك فلا تتجاهلهم. انظر ما إذا كانوا على حق فيما ينسبونهم إليك من عيب. فإن كانوا على صواب صحح الغلط بهدوء، ولكن نادراً ما تقتضي الضرورة الإعراف بعيوبك للآخرين، بل وليس من الحكمة أن تفعل ذلك. لأنهم إن سخطوا عليك – والطبيعة البشرية معروفة بتقلبها – فقد يتخذوا من اعترافك سلاحاً يوجهونك ضدك. باستطاعتك أن تطلع مرشداً روحياً عارفاً بالله على أخطائك، ولكن ليس شخصاً عادياً لا يستطيع مساعدتك، بل وربما قد يؤذيك عوضاً عن ذلك باطلاعه على نقاط ضعفك.

وبالنسبة لذوي الميول الروحية ننصحهم بمخالطة الطيبين من الناس. كلما تناغمنا مع الله واحترمنا قوانينه كلما تحسنت الأحوال وتحققت الآمال. وسينساب نحونا جدولاً مبارك من القوة الروحية التي تعضدنا وتمدنا بالعون الإلهي.

إننا هنا لتذكير الناس بأهمية الحياة الروحية. فالذين يسمعون أو يقرؤون ويعون سيحصل لهم تغيير روحي وسيمتد تأثيرهم الطيب إلى من حولهم.

إن بركة الله وأقطاب الروح معنا دائماً وسنحصل على المزيد كلما فكرنا الأفكار الإيجابية وفتحنا قلوبنا وعقولنا للمدركات والبركات المناسبة من نهر الخير الأعظم الذي لا يكف عن الجريان ولا يحرم من مائه الحي أي إنسان.

لقد جن جنون العالم بالكراهية والحروب، لكن طريق الحب الأخوي الذي نادى بها الأنبياء والعظماء هو الحل الوحيد لمشكلات العالم. بمقدورنا أن نجعل هذا العالم منيعاً

إزاء الحرب والدمار بالتناغم مع الإرادة السماوية التي تريد للبشر الوئام والتعايش  
بمحبة وسلام.

عندما نثبت لله تعالى أننا نحبه ونريده في حياتنا أكثر من حطام هذه الدنيا سيستجيب  
لنا وستحسن أحوالنا وستشرق شمس السعادة في أفق حياتنا.

في هذا العام الجديد يجب أن نتشبه بالعظماء وأن نتأمل ونبذل المجهود الآن. هذه  
التعاليم ليست لإعطاء ومضات عن الله بواسطة الكلام وحسب، بل نريد الجميع أن  
يختبروا بأنفسهم تلك التجربة المقدسة التي لا يمكن وصفها بالكلام.

التآلف بين البشر ممكن بعد حصول المرء على الوعي الإلهي. فعندما نتصل بالله ندرك  
أنه في كل الناس من كل الشعوب والأمم. ولو أن العالم بأسره تسليح بالمحبة لما احتاج  
الناس للتسلح ضد بعضهم بعضا. يجب أن نعمل على خلق وحدة بين كل الأديان وكل البشر.  
كما يجب أن نعوّد أنفسنا على العيش البسيط والتفكير السامي. حبذا لو كان لكل أسرة  
حديقة صغيرة لاستنبات بعض غذائها. يجب أن يعيش الناس ببساطة أكبر بحيث  
يملكون متسعاً أكبر من الوقت للاستمتاع بمباهج الحياة البسيطة.

ينطلق الإنسان في حياته عاملاً، أكلاً، نائماً.. وهذا كل ما يحققه من إنجازات. يجب  
التخلي عن أية عادة أو نشاط من شأنهما تعكير طمأنينتك والعبث بسعادتك.  
إن كنت ترغب في حياة أفضل فيجب أن تقرر في هذا العام الجديد بأنك ستطرد كل  
أبالسة العادات الرديئة من هيكل عقلك كي تتمكن من عمل ما ينبغي أن تفعله دون  
إعاقة أو عرقلة من العادات المستحكمة المتحكمة. إن كان ما ترغب به هو السعادة  
فهي في متناولك وبانتظارك! لا شيء يقدر أن يمنعها عنك أو يحرملك منها سوى  
نفسك.

واعلم زادك الله علماً أن كل المصاعب التي تزورك هي لتفعيل قواك الهاجعة وبث روح  
العزيمة بك من أجل إنجازات أعلى وأحلى!

اختر أي العادات ستهدم في العام الجديد. عدّ نفسك بأنك ستتمسك بمقرراتك. خصص  
وقتاً أكبر للتأمل على الله، إذ كلما تأملت كلما ازدادت فرحاً وشعرت بتقدمك الروحي  
وقربك من الله. حاول التحكم بمشتهيائك وعواطفك. كن سيداً في كل ما تفعله.  
فكر بالمقررات الطيبة التي اعتزمتها في الماضي. ربما وعدت نفسك بأنك لن تسمح  
لعاداتك وأفكارك القديمة بتسيير حياتك. هل احتفظت بها؟

إنها إهانة للنفس أن يستسلم الإنسان لضروب الضعف البشري. يجب أن يكون  
الشخص ربان سفينة حياته.

آمل أن لا تفقد الشجاعة والعزيمة اللتين تشعر بهما أثناء قراءتك لهذه الكلمات.

(فإذا عزم فتوكل على الله)

(إن كان للمرء عزم في إرادته)

فلا الطبيعة تثنيه ولا القدر)

والسلام عليكم.